مُقدّمة تاج العروس
دِراسة نقديّة

الدكتور محمد عبد السلام شرف الدين
نيجيريا

1 ــ صاحب القاموس :

ترجم له الزبيدى فقال :

« الامام ابو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن ابراهيم بن عمر بن أبى بكر بن محمود بن ادريس بن فضل الله ابن الشيخ أبى اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف ، قاضى القضاة مجد الدين الصديقى الفيروزبادى الشيرازى اللغوى · قال الحافظ بن حجر : وكان يرفع نسبه الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولم يكن مدفوعا فيما قاله · ولد بكازرين سنة 729 ، وتوفى بزبيد سنة 816 أو 817 هـ (1) ·

2 ــ صاحب « تاج العروس » :

ابو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى ، اصله من واسط بالعراق ، ومولده فى بلجرام فى الشمال الغربى من الهند ، ومنشؤه فى زبيد باليمن ، رحل الى الحجاز ، واقام بمصر ، وتوفى فيها · ولد سنة 1154 وتوفى سنة 1205 هـ (2) ·

3 ــ القاموس والتاج :

نعى الفيروزبادى على الجوهرى اقتصاره على الصحيح من الفاظ اللغة كما زعم أن الجوهرى قد فاته ثلثا اللغة أو اكثر ·

فالفيروزبادى قصد من تاليفه القاموس اثبات ما فات الجوهرى ، ومن اجل هذا جاء قاموسه ــ كما ظن ــ محيطا · فهل كان القاموس حقا محيطا ؟

اورد السيوطى موقف الفيروزبادى من صحاح

---

(1) مقدمة تاج العروس جـ 1 ، الكويت ، 1965،وانظر ترجمة الفيروزبادى ايضا فى : السخاوى : الضوء اللامع جـ 10 : 79 ــ 86 ، السيوطى :بغية الوعاة 117 ، 118 ، المزهر جـ 1 / 100 ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ 7 : 126 ــ 131 ،جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ 3 ، 157 مصر ، طبعة الهلال · على عبد الواحد وافى : فقه اللغة 285 ، نهضة مصر ، الطبعة السادسة ، وانظره ايضا فى : الزركلى : الأعلام ، كحالة : معجم المؤلفين ، دوايرالمعارف : مادة : فيروز ·

(2) من مراجع ترجمة الزبيدى :
الجبرتى : عجائب الآثار جـ 2 : 196 ــ 210مصر المطبعة الاميرية على مبارك : الخطط التوفيقية جـ 3 : 94 ــ 96 مصر ، ابراهيم مصطفى ، دراسات فى تاريخ الجبرتى مجلة مجمع اللغة العربية جـ 11 ، 47 اقرا فى هذا المقال رياسة الزبيدى للمدرسة التاريخية فى مصر وحثه الجبرتى على كتابة تاريخ مصر العام ، والشيخ محمد خليل مفتى دمشق على كتابة تاريخ سوريا ، وان يستعين كل بأخيه ·

الجوهرى ثم قال معقبا :

« ... ومع كثرة ما فى القاموس من الجمع للنوادر والشواذ ، فقد فاته اشياء ظفرت بها فى اثناء مطالعتى لكتب اللغة (3) .

كما قد تصدى للفيروزبادى من المؤلفين كثيرون يستدركون عليه ما فاته ، ويجرحونه ويدافعون عن الجوهرى (4) .

ومع هذا فقد صادف القاموس عناية من الدارسين والقراء بلغت احيانا حد التقديس (5) .

وقد شرحه وعلق عليه السيد المرتضى الزبيدى وسمى الشرح « تاج العروس » .

ويعد التاج خلاصة ما سبقه من قواميس ، كما يعد آخر المعجمات المطولة التى اتبعت نظام الباب والفصل او نظام القافية ، لان مدخل الكلمات فيه حرفيا الاخير ولقد ظهرت شخصية الزبيدى فيه الى حد جعله يفوق مجرد شرح او تعليق الى ان يصير فى نظر اللغويين كتابا مستقلا ومعجما قائما بنفسه (6) .

وقد شك بعضهم فى نسبة التاج الى الزبيدى مدعيا أن أحد العلماء كان قد اعطاه للزبيدى اثناء مروره بمصر فى طريقه الى البلاد المقدسة ، فمات هناك فادعاه الزبيدى ، وقد دفع Lane فى مقدمة قاموسه هذه التهمة عن الزبيدى (7) .

وقد كتب الزبيدى لقاموسه مقدمة جعلها خلاصة مركزة لكثير من الآراء اللغوية التى افادها ممن سبقه من العلماء . وفى دراسة هذه المقدمة تعرف على بعض نواحى الفكر اللغوى العربى ، ما له وما عليه ، هذا الى بعض فوائد اخرى تكشف عنها صفحات هذا المقال .

4 — مصادر الزبيدى فى المقدمة :

استقى الزبيدى افكار مقدمته من موارد كثيرة اليك بيانا بأهمها :

1 — المزهر للسيوطى ، 2 — الجمهرة لابن دريد ، 3 — الصحاح للجوهرى ، 4 — طبقات الشعراء لابن سلام ، 5 — الايضاح للقزوينى ، 6 — عروس الافراح لبهاء الدين السبكى ، 7 — المنهاج لحازم القرطاجنى ، 8 — الخصائص لابن جنى ، 9 — الاضداد لابى الطيب اللغوى ، 10 — الصاحبى لابن فارس ، 11 — الاشتقاق لابن دريد .

وقد اثبت اسماء الكتب السابقة حسب ورودها فى المقدمة .

ويبدو أن المزهر للسيوطى كان مصدر الزبيدى الرئيسى ، لانه ذكره كثيرا فى المقدمة . ولكن الزبيدى كان يستخدم عقله فى نقله ، فكثيرا ما استدرك على السيوطى كما انه لم يجد مناسبة لبيان فضل القاموس المحيط الا اهتبلها على العكس من السيوطى .

وقد استطاع الاستاذ عبد الستار احمد فراج ، الذى حقق الجزء الاول من التاج ارجاع نقول المقدمة — على كثرتها — الى الكتب الامهات السابق ذكرها ، فقام بجهد مشكور ، جازاه الله خيرا .

5 — مقاصد المقدمة :

اشتملت المقدمة على عشر مقاصد :

المقصد الاول : فى بيان ان اللغة هل هى توقيفية او اصطلاحية .

المقصد الثانى : فى سعة لغة العرب .

---

(3) المزهر ج 1 : 100 .
(4) أورد الزبيدى فى المقدمة قائمة لمن تصدى للفيروزبادى بالنقد — أنظر تاج العروس ج 1 : 3 .
(5) ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ : 242 ، 243 ؛ مصر الانجلو 1958 .
(6) عبد الله درويش : المعاجم العربية : 107 القاهرة ؛ مطبعة الرسالة ، 1956 ؛ أنظر ايضا عدنان الخطيب : المعجم العربى بين الماضى والحاضر : 40 ؛ القاهرة ، 1966 — 1967 .
(7) مقدمة قاموس Lane

المقصد الثالث : فى عدة ابنية الكلام ·
المقصد الرابع : فى المتواتر من اللغة والاحاد·
المقصد الخامس : فى بيان الافصح ·
المقصد السادس : فى بيان المطرد والشاذ والحقيقة والمجاز والمشترك والاضداد والمترادف ·
المقصد السابع : فى معرفة آداب اللغوى ·
المقصد الثامن : فى بيان مراتب اللغويين ·
المقصد التاسع : فى ترجمة المؤلف ·
المقصد العاشر : فى اسانيدنا المتصلة الى المؤلف ·

وواضح من سرد المقاصد العشرة السابقة — كما قدمها الزبيدى — أن من هذه المقاصد ما يتصل بنشأة اللغة ، ومنها ما يتعلق بمتن اللغة ، كما أن بعضها يتناول الاتساع فى اللغة ، والآخر يتكلم عن حاملى اللغة والطريقة التى بها تثبت ·

ويبدو الزبيدى منظما فى عرضه هذه المقاصد على النحو السابق ، لكن افكار المقدمة التى تغطى هذه المقاصد وتجلوها بدت متداخلة مختلطة ، وسأحاول قدر المستطاع جمع شتات هذه الافكار ، والحديث عنها فكرة فكرة ·

6 — افكار المقدمة فى الميزان :
هل اللغة توقيفية أم اصطلاحية ؟

الاجابة عن هذا السؤال حديث فى نشأة اللغة والكلام الذى أورده الزبيدى لم يتجاوز سردا لآراء من قال بالتوقيف وآراء من ذهب الى الاصطلاح ولا يستطيع القارىء أن يخرج باجابة مقنعة ، ولا يعد هذا عجزا من الزبيدى أو غيره من العلماء الذين استفاد منهم عن تقديم فكر شاف مقنع ، بل ان طبيعة المسألة هى المسؤولة عن هذا الاخفاق ·

والزبيدى حين ادخل هذه المسألة ضمن مقاصد المقدمة كان فى الواقع يتبع التقليد الذى ساد بين المفكرين والفلاسفة القدماء اللغويين منهم وغير اللغويين على السواء، فان النظر فى أصل اللغة قد حظى بالقسط الاكبر من عناية الفلاسفة القدماء ، واقدم مثل على ذلك ما نجده فى كتابات « افلاطون » (8) .

ولا تقل عناية الاصوليين المسلمين بهذه المسألة عن عناية غيرهم بها (9) .

أما عناية اللغويين العرب بهذه المسألة فقد غاقت أحيانا عناية حد التصور (10) ·

ومع هذا الاهتمام ، ومع انه لم يظفر بحث من البحوث اللغوية بقدر وفير من التأمل والتفكير مثل الذى ظفرت به نشأة اللغة ، فقد كانت النتيجة دائما سلبية ولم يهتد الباحثون بعد كل ما بذلوه من جهد الى راى يجمعون عليه ، ولقد ظلوا مع هذا الاهتمام وفى هذا الاخفاق حتى اوائل القرن العشرين حين بدأ العلماء ينصرفون عن هذا النوع من البحث ويرون انه من مسائل ما وراء الطبيعة ، وان لاجدوى من الاستمرار فيه (11) .

---

8 — عثمان امين فى اللغة والفكر : 10 ، القاهرة ، 1967
9 — انظر مثلا : ابو الحسن الآمدى ، الاحكام فى اصول الاحكام جـ ا : 104 — 1112 مصر ، 1914 ، ابن حزم ، الاحكام فى اصول الاحكام جـ 1 : 28 — 31 ، مصر
10 — انظر : ابن جنى : الخصائص جـ 1 : 40— 48 ، القاهرة دار الكتاب ، ابن فارس الصاحبى : 5 ، مصر المطبعة السلفية ، السيوطى ، المزهر جـ 1 : 8 — 20 ، مصر ، دار احياء الكتب العربية ، ابن سيده ، المخصص جـ 1 : 3 — 6 ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، محمد الخضر حسين ، دراسات فى العربيّة وتاريخها : 10 ، مصر ، احمد امين ظهر الاسلام : جـ 22 : 120 ، مكتبة النهضة المصرية 1966 ، امين الخولى ، مشكلات حياتنا اللغوية : 31 — 35 ط 2 القاهرة ، 1965 ، ابراهيم مدكور ، الادب العربى تجاه مشكلتى اللغة والحرف ، مجلة مجمع اللغة العربية جـ 15 : 5 ، ابراهيم مصطفى ، اصول النحو ،مجلة مجمع اللغة العربية جـ 8 : 144
11 — دلالة الالفاظ / 9 ، انظر ايضا ابراهيم انيس ، من طرق تنمية الالفاظ فى اللغة / 42 القاهرة 1966 — 1967 ، فى اللغة والفكر / 10 ، محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية / 186 ، 189 ط 4 ، دار الفكر ، بيروت ، 1970 · (اللسان العربى : يراجع بحث لعبد الحق فاضل بعنوان « علم الترسيس »فى عدد سابق من هذه المجلة وفى كتابه « مغامرات لغوية ») .

وقد كان هذا الموقف نفسه موقف بعض علمائنا القدامى ، فقد نقل السيوطى عن السبكى قوله : « الصحيح عندى ان لافائدة لهذه المسألة » ثم عقب : « وهو ما صححه ابن الانبارى وغيره ، ولذلك قيل ذكرها فى الاصول فضول » (12) .

وقد ارتضى المفكرون المحدثون راى علماء النفس والاجتماع فى منشأ لغة الانسان وخلاصة هذا الراى ان اللغة كغيرها من الظواهر الاجتماعية نشأت ساذجة ثم تطورت بمرور الزمن وتتابع التجارب ، وقد ادى اختلاف التجارب والمشاهدات واختلاف الاوساط والبيئات والطبائع الى اختلاف اللغات (13).

وقد ذكر الزبيدى ــ حكاية عن غيره ــ « ان آدم عليه السلام كانت لغته فى الجنة العربية ، فلما عصى الله سلبه العربية ، فتكلم بالسريانية ، فلما تاب لله ، رد الله عليه العربية » (14) .

وهذه نقطة يعد الحديث عنها ضربا فى معميات الامور ، اذ هى تنتمى الى مسائل ما وراء الطبيعة حيث يعجز الباحث عن اثبات رايه بالدليل القاطع ، أو قد يمكن لكثير من الباحثين ادعاء ما يحلو لهم ، ولقد زعم عالم سويسرى فى القرن السابع عشر ، وهو يؤكد لمستمعيه ان آدم كان يتكلم الدنيمركية . (15) .

سعة اللغة :

من الممكن الحديث عن المقصد الثانى والثالث والسادس من مقاصد المقدمة العشرة تحت هذا العنوان .

ومن الافكار التى تحدث الزبيدى عنها فى هذه المقاصد ادعاؤه ــ حكاية ــ « ان لسان العرب أوسع الالسنة مذهبا ، واكثرها الفاظا » (16) .

وقد شك فى صدق هذه الدعوى كثير من العلماء والباحثين ، فابو سليمان المنطقى فر من الحديث عنها وارجع الامر الى معرفة كثير من اللغات (17) .

ولهذا فان اعتناق هذه الدعوى يعد نوعا من التعصب القريب من الشعوبية ــ فى نظر المرحوم احمد أمين ــ (17✱)

فالى اى مدى يجوز اطلاق هذه الدعوى ؟

نشر المستشرق الفرنسى «لويس ما سينيون» مقالا بعنوان « مقام الثقافة العربية بالنسبة الى المدنية العالمية » بعد نظر فى نظام ترتيب الجمل فى اللغات السامية والآرية والطورانية وبعد مقارنة بين العربية واخواتها الساميات ، وتدليله على افضلية اللغة العربية بالاستشهاد بالقول الشائع : « انها السابقة بالوصلة ، والاخرة بالنبوة » (18) ، وبعد حديثه عن علم العروض ، وعلم النحو قال :

« لا يعوز اللغة العربية فى العصر الحاضر الا ان تخصص الفاظ من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون ، ولن يرهقنا هذا من امرنا عسرا ، لان فى بطون معجمات هذه اللغة مئات الالوف من الكلمات المهجورة مما يصلح ان يوضع لهذه المسميات الحديثة ،،، » (19) .

وفى الحدود السابقة يمكن ان نذهب الى سعة

---

12 ــ المزهر جـ 1 / 26

13 ــ حامد عبد القادر ، ثنائية الاصول اللغوية، مجلة مجمع اللغة العربية ، جـ 11 / 111 ــ 117 ، ابراهيم انيس ، تطور البنية فى الكلمة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية جـ 11 ، 166 ــ 168 .

14 ــ مقدمة تاج العروس / 13 ، المزهر جـ 1 / 30

15 ــ دلالة الالفاظ / 10

16 ــ مقدمة تاج العروس / 16 ، انظر فى هذا ايضا طبقات النحويين واللغويين ، ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدى / 379 ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1954

17 ــ ظهر الاسلام جـ 2 / 121 ، 122

17✱ ــ ظهر الاسلام جـ 2 / 119

18 ــ يقصد بالوصلة المحافظة على خصائص اللغة السامية الاصلية التى تفرعت عنها اللغات السامية المختلفة ، واما انها الاخرة بالنبوة فالمقصود بالنبوة هنا الثقافة الاسلامية بالمعنى العام . فقه اللغة / 240

19 ــ فقه اللغة / 240 ــ 245

اللغة العربية ، فهى لغة يمكنها ان تسع مستحدثات العلوم والفنون كما وسعت كثيرا من فروع الثقافة القديمة ، كما قد يجوز القول ان العربية افضل من غيرها فى مجال ضيق ومامون فى نفس الوقت ، وهو مجال المقارنة بينها وبين اخواتها الساميات ·

وقد نحا عبد الواحد وافى منحى «ما سينيون» فى التدليل على ان العربية « من اعظم اللغات كفاية ، واكثرها مرونة ، واقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول » (20) .

ثم وسع دائرة المقارنة لتشمل الترجيح بين العربية الفصحى ولهجاتها المختلفة · يقول :

« ··· وفى ذلك تختلف العربية الفصحى اختلافا كبيرا عن اللهجات العامية الحديثة المتشعبة عنها ، فمتون هذه اللهجات ضيقة كل الضيق لاتكاد تشتمل على اكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى » (21) .

فالعربية عنده اوسع من اخواتها الساميات ، وبناتها اللهجات على السواء ·

ونهوض العربية لحمل ميراث الثقافة القديمة ، والحضارات التالدة جعل المرحوم محمد الخضر حسين يدرجها فى مصاف اللغات الراقية · يقول :

« يرى الباحثون ان اللغات تنقسم الى راقية وغير راقية ، اى ما كانت موادها قليلة لا يسع التعبير بها اكثر ما تمس الحاجة اليه ، · والراقية ما غزرت مبانيها واتسعت طرق دلالتها فكانت موفية بتادية المراد » (22) .

وقد كان هناك اجماع من الباحثين السابقين وغيرهم على ان ماشاع فى العربية من ترادف ، وتضاد ، واشتراك لفظى ، وحقيقة ، ومجاز ، علامة من علامات اتساعها ، ووفرة محصولها اللغوى ، وان تفاوت هؤلاء العلماء فيما بينهم حول تفسيرهم لوجود هذه الانواع من الالفاظ (23) .

فى هذه الحدود يمكن ان نقول ان العربية اغنى اللغات · فهى اغنى من اخواتها الساميات ، كما انها ارقى من بناتها اللهجات ، واغنى منها بلا شك كما انها من اغنى اللغات واوفرها حظا فى المعانى الانسانية ، والمفاهيم الرفيعة السامية منظومة ومنثورة · وهذا الغنى ، وهذه الثروة المعنوية هى مقياس رقى اللغات فى الحقيقة ، لا الالفاظ ولا الكلمات ، وحدها ، على ان لغتنا ليست فقيرة فى هذه الناحية ·

اما ان ندعى بان لغتنا اوسع اللغات ، فهذا ما يرفضه الباحثون المعاصرون اذ المقارنة بين اللغات من حيث كثرة الفاظها وسعة مفرداتها ، لاتشغلهم كثيرا لان لكل لغة مواضعاتها وامكانياتها التعبيرية ، حسبما يتطلب واقع المتكلمين بها وموقفهم الحضارى ، بل ان اللغات جميعا تدخل فى مفرداتها كثيرا من الكلمات على سبيل الاقتراض من لغة اخرى ، واكثر ·

---

20 ــ فقه اللغة / 239
21 ــ فقه اللغة / 162 ، 163
22 ــ دراسات فى العربية وتاريخها / 144 ــ 148 ·
23 ــ انظر مثلا : المخصص ج 1 / 3 ، عباس محمود العقاد ، الحقيقة والمجاز ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 8 / 303 ــ 306 ، خليل السكاكينى ، خواطر فى اللغة / المرجع السابق / 316 خليل السكاكينى : الترادف ، المرجع السابق 124 ــ 131 احمد امين ، جمع اللغة المرجع السابق 209 ــ 213 ، محمد الخضر حسين ، المجاز والنقل واثرهما فى حياة اللغة ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 1 / 291 ــ 331 ، منصور فهمى ، الاضداد ، المرجع السابق ج 2 / 228 ــ 244 ، محمد جاد المولى ، طريق التاليف اللغوى ، السابق ج 3 / 314 ، فقه اللغة / 163 ــ 169 ، 241 ــ 268 ، فى اللغة والفكر / 11 ، جرجى زيدان ، اللغة العربية كائن حى / 57 ــ 61 القاهرة ، دار الهلال ، عائشة عبد الرحمن ، لغتنا والحياة / 44 القاهرة ، 1966 ، محمد رضا الشبيبى ، سنة التطور فى اللغة ، مجلة المجمع ج 11 / 59 ، 60 ، طه حسين ، مشكلة الاعراب ، السابق ج 11 / 89 ــ 94 ، تعقيب الدكتور عبد الله درويش على الاستاذ العقاد فى محاضرته عن « الزمن فى اللغة العربية » ، السابق ج 14 / 37 ــ 45 ·

وهذا امر اجمع عليه علماء اللغات ، ولم يكن بينهم موضع جدل او نقاش ، واقتراض الالفاظ يقوم به الافراد ، كما تقوم به الجماعات ، وحدث بين اللغات القديمة ولا يزال يحدث بين اللغات الحديثة (24) .

وقد سلكت العربية مسلك غيرها من اللغات فاقترضت قبل الاسلام وبعده الفاظا اجنبية كثيرة، ولم يجد العرب القدماء فى هذا غضاضة او ضير بلغتهم التى احبوها واعتزوا بها (25).

وزادت هذه الالفاظ زيادة كبيرة على ايدى العلماء الذين لم يكونوا من اصل عربى ، فقد الفوا بالعربية كتبا ورسائل علمية حول الحيوان ، والنبات والطب وحشدوا فيها قدرا كبيرامن تلك الالفاظ ، على نحو ما فعل الفارابى ، وابن سينا ، والرازى ، وغيرهم ، ولما بدأ اصحاب المعاجم تصنيف معاجمهم حاولوا جهدهم تحاشى ذكر الكثير من تلك الالفاظ ، ولكن المتأخرين منهم كالفيروزبادى شحن قاموسه بعدد كبير جدا من تلك الالفاظ مما عيب عليه ، وعد بمثابة الوصمة فى معجمه (26) .

وليس معنى اقتراض العربية من سواها من اللغات ذهابها ، او القضاء عليها فان موقفها من هذه اللغات الاخرى قديما وحديثا موقف البنية الحية ، وكل بنية حية لها قوام ثابت ، وغذاء متجدد ، ولهذا كان من اثر الثقافة الاوربية فى ابناء العربية انهم رجعوا الى ماضيهم ، كما نظروا فى حاضرهم ، وابتعثوا تاريخهم كما ابتعثوا همتهم لمعالجة شؤونهم، ووصلوا ما انقطع ، ولم يقطعوا ما اتصل ، وستظل العربية بخير مادامت بنية حية تحافظ على كيانها ، وتتقبل ما يقيم هذا الكيان من طيب الغذاء (27) .

* * *

ومن الافكار التى ذكرها الزبيدى فى حديثه عن سعة اللغة ما حكاه عن ابن فارس من قوله : « ... ما بلغنا عن احد ممن مضى انه ادعى حفظ اللغة كلها » (28) .

وهذه دعوى مسلم بها يؤيدها الواقع . اذ يصعب على الفرد الاحاطة بكل كلمات لغته ، وخاصة ما ينتمى لفترات زمنية ماضية حيث يكون المعجم هو المرجع الوافى للوقوف على هذه الكلمات ، والتعرف على معانيها .

والدعوى السابقة عن مقدرة متكلمى اللغة فى محاولتهم تحصيل لغتهم واذا ثبت ان هذه المحاولة محدودة الامكانيات ، فانه قد يجوز ان نذهب الى ان الموروث اللغوى للجماعة المتكلمة يصلها ناقصا ، وهذا ما ادعاه الزبيدى حكاية عن ابن فارس ايضا . وعليه فالدعوى المقبلة تتعلق بكمية الموروث اللغوى.

حكى الزبيدى عن ابى فارس قال : « ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها وان الذى جاء عن العرب قليل من كثير ، وان كثيرا من الكلام ذهب بذهاب اهله (29) .

وهذه دعوى مسلم بها ايضا ، لان العرب اعتمدوا فى حفظ ادبهم على الذاكرة ، وما بدؤوا التدوين الا فى عصر متأخر ، وطالما اذهبت الحروب والكوارث كثيرا من الحفظة ، وحاملى الموروث اللغوى والادبى .

---

24 ــ دلالة الالفاظ / 117

25 ــ دلالة الالفاظ / 124

26 ــ المرجع السابق / 125

27 ــ عباس محمود العقاد ، موقف الادب العربىمن الاداب الاجنبية فى القديم والحديث ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 / 122 ، 123

28 ــ مقدمة تاج العروس / 16 ، المزهر ج 1 / 33 ، ابن فارس ، الصاحبى 9 / 18 القاهرة المطبعة السلفية ، 1910 ، ثم انظر دعوى بعضهم ان سيبويه جمع فى كتابه الابنية كلها الا ثلاثة فى المصون فى الادب ، ابو احمد الحسنابن عبد الله العسكرى المتوفى 382 هـ ، تحقيق عبد السلام هارون / 119 ، 120 ، الكويت1960، ثم انظر ما دار بين ابى الاسود وغلام السيرافى ، اخبار النحويين البصريين / 15 مصر ، 1955 .

29 ــ مقدمة تاج العروس / 17 ، الصاحبى / 34 ، المزهر ج 1 / 34 انظر ايضا المزهر ج 1 / 66

وقد اثبت ابن جنى فى الخصائص هذه الحقيقة داعيا العلماء الى عدم تخطئة العربى اذا صدر منه ما يخالف المعهود من الكلام ، لان هذا قد يكون من الموروثات اللغوية التى لاتعلم عنها الكثير (30) .

لكن الى اى مدى يأسى الباحث اللغوى على ما فاته من محصول لغوى ؟ وهل يهدد هذا النقص عملية البحث اللغوى ؟

الواقع ان هذا المحصول اللغوى الذى انتهى الينا مما قالته العرب عد كافيا جدا — فى نظر لغوييننا المعاصرين لاجراء عملية البحث والاستقراء ومن ثم فانهم يطلبون من الباحثين اعادة الاستقراء ، وعدم الاعتماد على اقوال — القدماء من العلماء وحدها .

يقول احدهم : « علينا ان نعيد الاستقراء بأنفسنا ، ولدينا لحسن الحظ من النصوص ما يكفى ؛ بل وفوق ما يكفى ، ولا يصرفنا عن هذا الاستقراء تلك الكلمة المشهورة لأبى عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا اقله ولو قد جاءكم كله لجاءكم علم وادب كثير » ، ورأينا فى هذا النص ان دارس التاريخ قد يأسى لهذا الذى فقدناه من نصوص ، كذلك قد يأسى لهذا دارس الادب ، أما دارس اللغة من حيث صيغها والفاظها فلديه من النصوص ما يكفى لان الظاهرة اللغوية تشيع فى كل نصوص اللغة بنسبة تكاد تكون واحدة اى لا نستطيع ان نتصور ان القدر قد اختص النصوص المفقودة بامثلة ظاهرة من ظواهر اللغة بعينها ، فالظاهرة اللغوية تشيع فى النصوص كما يشيع الملح او السكر حين يذوب فى الماء ، وتكفى قطرة من هذا المحلول للحكم على كثافة او نسبة الملوحة فيه ··· ونحن لانشك فى ان المتقدمين قد قاموا بهذا الاستقراء ؛ ولكن استقراءهم فى بعض الأحيان كان ناقصا · وليس العيب فى مسلك المتقدمين بقدر ما هو فى مسلك المتأخرين من علماء اللغة الذين اكتفوا باقوال من سبقوهم وقصروا عملهم فى كثير من الحالات على هوامش وشروح وتعليقات على اقوال المتقدمين » (31) .

وما ذكره الزبيدى عن عدة ابنية الكلام يعد تلخيصا لما ذكره السابقون ، بل ان ما ورد فى المزهر للسيوطى اوضح مما عرضه الزبيدى وادق منه .

والواقع ان ابنية الكلمات العربية استرعت انظار العلماء العرب حين بدأوا التفكير فى وضع المعاجم العربية ، وتنظيمها على حسب الحروف والصيغ · ولعل الخليل بن احمد هو أول من تنبه لهذا حين قام بتصنيف كتاب العين أو وضع هيكله (32) . اذ راى حصر الكلمات العربية التى يمكن أن تتكون من حروف الهجاء الثمانية والعشرين بطريقة حسابية حتى لاتند عنه كلمة ، فوجد انها فى حدود 12 مليونا ، وبنى احصاءه على اساس ان الكلمة قد تكون ثنائية الاصول ، أو ثلاثية الاصول ، أو رباعية الاصول ، واخيرا قد يكون الاسم وحده خماسى الاصول ، وتبين لصاحب كتاب « العين » ان معظم تلك الصور التى يمكن عقلا ان تتكون من حروفنا الهجائية مهمل أو غير مستعمل فى اللغة ، بل وجد ان المستعمل منها هو نسبة ضئيله من ذلك العدد الضخم (33) .

وسلك مسلك الخليل تلاميذه ومن جاءوا بعده من اصحاب المعاجم حتى استقر الامر بين المتاخرين من النحاة فى وضع الميزان الصرفى ، وتحديد

---

30 — الخصائص ج 1 / 385 — 387 وقد ارجع ابن جنى غرابة ما يصدر من الاعرابى الى تأثر اللهجات كل بالاخرى ، وكان ابن جنى بتقديمه السببين السابقين يحبذ دراسة اللغة فى مراحلها المختلفة ، وفى علاقة لهجاتها كل بالاخرى ·

31 — طريق تنمية الالفاظ فى اللغة العربية/ 27 — 29 ، انظر ايضا : فقه اللغة وخصائص العربية / 222 ·

32 — هناك شك فى نسبة « العين » الى الخليل ويرى البعض ان منفذ الفكرة هو تلميذه الليث · انظر عرض هذه المسالة بتفصيل واف فى :المعاجم العربية / 47 — 68

33 — ضحى الاسلام ج 2 / 262 ، انظر ايضا : المزهر ج 1 / 89

الاوزان للكلمات العربية (34) ·

وقد اهتم من جاء بعد الخليل ببيان سبب اهمال العرب لبعض الالفاظ فيرى « ابن جنى » أن اهمال ما اهمل اكثره متروك للاستثقال ··· فمن ذلك مارفض استعماله لتقارب حروفه نحو سمص ، وظث وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه ، والمشقة على النفس لتكلفه ·· وكذلك حروف الحلق هى من الائتلاف ابعد ، لتقارب مخارجها عن معظم الحروف ، اعنى حروف الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الاقوى على الأضعف نحو أهل واحد ، وعهد ·· ، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما الا بتقديم الأقوى منهما نحو أرل ، ووتد ، يدل على أن الراء اقوى من اللام أن القطع عليها اقوى من القطع على اللام ، وكأن ضعف اللام انما أتاها لما تشربه من الخفة عند الوقوف عليها (35) .

وهذا حديث فى تجاور الأصوات وائتلافها وهو ما يدرسه المحدثون فى علم التشكيل الصوتى ، وهو العلم الذى يدرس الأصوات اللغوية فى تجاورها وتأثير كل على الآخر ·

وقد أورد « الزبيدى » شيئا من هذا على سبيل الحكاية ، من ذلك ما كتبه عن اكثر الأصوات استعمالا عند العرب واقلها استعمالا (36) .

ومن هذا ما ينقله عن السيوطى عن السبكى فى « عروس الافراح » : « رتب الفصاحة متفاوتة فان الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لايلائمه قربا او بعدا .. واحسن هذه التراكيب واكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الاعلى الى الاوسط الى الادنى ، ثم انتقل فيه من الاوسط الى الادنى الى الاعلى ثم من الاعلى الى الادنى ، واقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط » (37) ·

وهذا ارهاص بما قاله مؤرخو اللغات فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من أن اللغات تنزع فى تطورها نحو السهولة ، فقد لاحظ « جسبرسن » أن التطور الصوتى فى اللغات يميل فى غالب الأحيان نحو تيسير النطق بها والاقتصاد فى الجهد العضلى اثناء صدورها (38) .

وقد ترتب على هذا الميل العام ظواهر منها : ان اللغات فى احدث صورها تكاد تخلو من المجموعات الصوتية المتنافرة التى تتعثر فى نطقها الالسنة مثل تلك الكلمات التى يصفها علماء البلاغة بتنافر الحروف مجتمعة كالهمخع ، ومستشزرات، فاجتماع مثل هذه الأصوات فى الكلمة الواحدة كان امرا مألوفا فى اللغات ، ثم تطورت اللغة ومالت الى تسهيل النطق ، فتخلصت من تلك المجموعات الصوتية الشاقة ولم تخلف لنا منها الا كلمات قليلة هى التى يتخذها علماء البلاغة أمثلة لتنافر الحروف (39).

قريش واللغة المشتركة :

ذكر « الزبيدى » فى المقصد الخامس أن افصح الخلق (40) هو الرسول (ص) وافصح القبائل « قريش » لأن « قريشا » سكان حرمه وولاة بيته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش ، وكانت قريش تتخير من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب (41) .

ومعنى هذا انه تحقق للهجة قريش ما يشترط

34 — ابراهيم انيس ، تطور البنية فى الكلمة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11 / 165
35 — انظر بتية كلامه فى الخصائص ج 1 / 54 ؛ ج 2 / 227
36 — المقدمة / 20 ابن دريد ، الجمهرة ج 1 / 12 ، المزهر ج 1 / 96 البيان والتبيين ط / 22
37 — المقدمة / 21 ، المزهر ج 1 / 195 الخصائص 2 / 227 البيان والتبيين ج 1 / 69
38 — Language, its nature, development origin PP. 330
وفقه اللغة / 205 ، انيس ، وحى الاصوات فى اللغة العربية ؛ مجلة مجمع اللغة العربية ج 10 / 128 ، تطور البنية فى الكلمة العربية ج 11 / 168 ·
39 — دلالة الالفاظ / 28 ؛ شفاء العليل / 7
40 — رسالة الشافعى / 46 ط الحلبى
41 — المقدمة ؛ المزهر ج 1 / 209 — 212 ضحى الاسلام ج 2 / 247

للغة المشتركة (42) فى كل زمان وجيل من توفر بعض الظروف الاقتصادية والسياسية والدينية التى تجعلها لغة التفاهم والتخاطب فهى مفهومة لدى الجميع ولكنها ليست لغة جماعة بعينها وهذا معنى قوله « فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم » .

وقد ثار حول فكرة ان قريشا افصح العرب خلاف نشأ من قول الرسول (ص) : « انا افصح العرب بيد انى من قريش وانى نشأت فى بنى سعد » الا تعنى تنشئة الرسول فى بنى سعد ان القريشيين انفسهم لم يكونوا يرون انهم افصح العرب والا ما ارسلوا ابناءهم الى البادية الخالصة ؟

ثم كيف تعد قريش افصح العرب مع ان القرشيين كانوا يختلطون بغيرهم صيفا وشتاء — كما نص القرآن — ولا يخفى أن الاختلاط يهدد « خلوص البداوة » ؟

والجواب أن « بنى سعد » كانت افصح الفاظا واصح مفردات ، ولكن قريشا كانت افصح العرب تركيبا ورصف مفردات . وهذا معنى قول « ابى نصر الفارابى » : كانت قريش أجود العرب انتقاءا للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا وابينها ابانة عما فى النفس (43)

وليس معنى انتصار لهجة قريش انها سلمت من تأثيرات اللهجات الاخرى ، فمن المقرر فى قوانين اللغات ان اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها ، بل ان طول احتكاكها باللغات الاخرى وشدة كفاحها معها يترك فى اللغة الغالبة آثارا كثيرة من اللغات المغلوبة فى نواحى الأصوات والقواعد والاساليب والمفردات ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة فى النواحى التى تعوز اللغة الغالبة ؛ فاللغة الغالبة تعمد فى العادة الى خصمها المقهور فتمتص منه ما تحتاج اليه وتستل ما يعوزها قبل ان تجهز عليه (44) .

وهذا ما افهمه قول الفارابى السابق وان كان هذا التأثر بين اللغات يحدث بطريقة تلقائية لا عن قصد او تدبر .

واذا كان هذا هو طبيعة اللقاء بين اللغات فأولى به أن يكون مع اللهجات المنتمية الى لغة واحدة ولعل هذا قد يفسر كثرة الترادف وكثرة صيغ الجموع وكثرة الأوزان للفعل الواحد فى اللغة العربية ، فان لهجة قريش قد امتصت طرقا لغوية كثيرة من اللهجات الأخرى الى جانب ما كان لديها من طرق فجاءت العربية على هذا النسج .

آداب اللغوى :

هذا هو المقصد السابع وهو مقصد طريف جمع فيه « الزبيدى » بين آداب خلقية يجب على اللغوى الاتصاف بها من مثل الاخلاص وتصحيح النية والرفق بمن يأخذ عنه وعدم الاكثار عليه او التطويل بحيث يضجر وآداب منهجية يحبذها البحث فى اللغة والتعرف عليها من مثل الأخذ عن الثقاب لضمان الحصول على النص الصحيح والرحيل فى طلب الغرائب والفوائد تحقيقا لمبدأ معاشرة متكلمى اللغة والسماع عنهم ، والامساك عن الرواية اذا كبر ونسي وخاف التخليط . ويعد الالتزام بهذه الخلة اعتناءا بالمحافظة على متن اللغة والحديث فى هذا المقصد قوى الشبه بما هو مقرر بين علماء الحديث فالخطيب البغدادى الف كتابا سماه « الجامع لآداب الشيخ والسامع » لخص منه الحافظ ابن كثير فى « آداب المحدث » .

ومن آداب المحدث انه اذا بلغ الثمانين يجب له أن يمسك خشية ان يكون قد اختلط كما ينبغى أن يكون صحيح البنية وهكذا كان شأن السلف ، قال احدهم : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله »

وكذا طلب علماء الحديث من طالب الحديث

---

42 — مشكلات حياتنا اللغوية ؛ 56 — 61 رمسيس جرجس ؛ التمييم والتنوين مجلة المجمع 13 / 58 فقه اللغة 106 — 108 ؛ لغتنا والحياة / 48 — 50 ؛ مستقبل اللغة العربية المشتركة / 11

43 — المزهر ج 1 / 211 ضحى الاسلام 2 / 247

44 — فقة اللغة / 110 — 112

أن يخلص النية لله عز وجل كما طلبوا منه أن يبادر الى سماع العالى فى بلده فاذا استوعب ذلك انتقل الى اقرب البلاد اليه ، أو الى أعلى ما يوجد من البلدان (45) .

على أن الشبه بين اللغويين والمحدثين يتعدى النقطة السابقة الى مواطن أخرى ·

فحركة جمع اللغة والحصول على مفرداتها من مواطنها اشبهت ما قام به المحدثون من جمع الأحاديث فكان كل عالم يجمع أشياء سمعها وبجانبه عالم آخر سمع اشياء اخرى فاقتصرعليهافجاءتالطبقة التى بعدهم فجمعت ما تفرق عند العلماء ومن ذلك كانت كل طبقة أوسع معرفة ممن قبلها وشأنها فى ذلك شأن المحدثين ، فقد كان كل صحابى يعرف بعض الحديث فجاء التابعى فسمع من جملة الصحابة وجاء تابع التابعى فسمع من عدد أكثر · بل قد رتب علماء اللغة درجة الأخذ والتحمل كما فعل المحدثون فقالوا : « املى»علينا » أرفع من « سمعنا » « وسمعت » أعلى من « حدثنى » و « حدثنى » خير من « أخبرنى » كما يفعل المحدثون وطريقة السند فى رواية اللغة اتت تأثرا برجال الحديث وان كان علماء اللغة لم يستمسكوا بذلك طويلا كما استمسك المحدثون ·

كذلك مما اتبع فى اللغة على نمط الحديث انهم رتبوا ما ورد فى اللغة ترتيب اهل الحديث ففصيح وافصح ، وجيد واجود ، وضعيف ومنكر ومتروك الى آخره ···

ومما اتبعوا فيه نمط المحدثين تجريح الرجل وتعديلهم ، ولكن لم يبلغوا فى ذلك مبلغ المحدثين فى دقة التحرى والتقصى (46) .

المقدمة ثبت ببليوجرافى :

تعد مقدمة تاج العروس ثبتا ببليوجرافيا عنى فيه « الزبيدى » بتقديم قسط لا بأس به من المؤلفين والمؤلفات وقد تقدم هذا الثبت اما اعترافا بالجميل ونسبة الفضل لأهله وهنا ننوه بأمانة الزبيدى العلمية لأنه سارع الى اثبات المؤلفات التى افاد منها فى بداية المقدمة · وهذا خلق علمائنا الذين كانوا قدوة فى العلم والأدب ، واما قصد تسجيل للحقيقة أو قيد للمعلومات ·

ويقع هذا الثبت فى ثلاث طوائف :

الأولى : سرد لائمة اللغة البصريين والكوفيين وبيان اسانيدهم والقابهم وكناهم ووفياتهم ولا يخفى ما فى هذا السرد من فائدة للباحث فى طبقات النحويين ·

الثانية : عرض الزبيدى للتأليف فى المعجم العربى ابتداءا بالخليل بن أحمد وانتهاءا بالفيروزبادى الذى كان بصدد شرح قاموسه المحيط ·

الثالثة : قائمة بأسماء عدد من الكتب والمراجع ، وهذه القائمة تنقسم الى قسمين :

الأول : قائمة بالأعمال التى الفت حول « القاموس المحيط » مختصرة وشارحة »

الثانى : قائمة بأسماء المراجع التى افاد منها الزبيدى فى شرحه « القاموس »

يقول بعد أن ذكر ما يزيد عن خمسة وتسعين مرجعا : « ··· وغير ذلك من الكتب والأجزاء فى الفنون المختلفة مما يطول على الناظر استقصاؤها ويصعب على العاد احصاؤها » ·

والقائمة هنا شارحة ، لأن الزبيدى كان يذكر النسخ المختلفة للكتاب ونوع الخط الذى كتب به والمكان الذى حفظ فيه الكتاب وهكذا ·

وأرى أن مقدمة تاج العروس تصلح بهذا ثبتا « ببليوجرافيا » مركزا أو مختصرا يضاف الى غيره من « البيبليوجرافيات » العربية التى تعد معلما واضحا لمصادر الثقافة الاسلامية من مثل : الفهرست لابن النديم ، ومفتاح السعادة ، وكشف الظنون··الخ

---

45 — انظر الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير / 80 — 83 دار الفكر — دمشق

46 — ضحى الاسلام ج 1 / 252 — 259 ، انظر ايضا التقيد النحوى بين السماع والقياس رسالة ماجستير للمؤلف ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، 1968 ·

وقد وجدت بعض الاختلاف فى القول لـــدى « الزبيدى » فهو يقول وهو يشرح خطبة صاحب القاموس : « واما المحكم المتقدم ذكره فعندى منه اربع مجلدات » وعند ذكر العباب : « وهذا الجزء لـــم اطلع عليه مع كثرة بحثى عنه » . ثم يقول فى المقدمة ـــ وهى تسبق شرح خطبة الفيروزبادى ـــ عـــن المحكم : « والمحكم لابن سيده فى ثمان مجلدات » وعن العباب والتكملة : « كلاهما للرضى الصاغانى ظفرت بهما فى خزانة الامير صرغتمش » .

وقد وجدت بحمد الله مخرجا من هذا الاضطراب على يد الأستاذ / عبد الستار فراج ـــ جازاه الله خيرا ـــ يقول : ان المقدمة وان كانت فى اول الكتاب تكتب بعد الفراغ من التأليف فهو فى شرح خطبـــة القاموس بادىء بالعمل وهو فى كتابته للمقدمة كان بعد انتهاء العمل وفى خلال الاعوام الطويلة التى شرح فيها القاموس عثر على العباب فلا تناقض بـــين القولين ، ولعله ايضا بالنسبة للمحكم كان امامه منه اربعة اجزاء ثم ظفر ببقية اجزائه وليس ذلك ببعيد ، فهناك كتب ذكرها ونص على انه وجد منها بعض اجزاء » (47) .

ترجمـــة المؤلـــف :

قدم الزبيدى فى المقصد التاسع ترجمة صاحب القاموس المحيط فنجد فيها سيرة عالم من العلماء المسلمين الذين ازدانت بهم حضارة الاسلام والعالم . ونلاحظ فيها ما يلى :

أولا : التنقل بين مختلف بلاد العالم الاسلامى الرحب . فالفيروزبادى ولد بـــ (كازر) وانتقل الى « شيراز » فـــ (واسط) فـــ (بغداد) فالبـــلاد الشرقية ، فبلاد الشام ، فبلاد الروم ، فالهند ، فمصر ، فزبيد ، فمكة ، فالمدينة ، فالطائف وهو فى كل بلد من هذه البلاد يقابل علماءها وقضاتها والجماء الغفير من أعيان فضلائها فيأخذ عنهم .

ثانيا : سعة الاهتمامـــات العلميـــة والثقافية فالفيروزبادى برع فى فنون العلم لا سيما اللغة ، وجودة الخط وتوسع فى الحديث والتفسير .

ثالثا : حسن التأتى لمسائل الحياة والأمور الدنيوية ، وتقبل الحياة بصدر متفتح ونفس مشرقة . فالفيروزبادى اقام بالطائف « وعمل بها مآثر حسنة » وما دخل بلدة الا اكرمه اهلها ومتوليها وبالغ فى تعظيمه .

وحقا لقد كان الفيروزبادى على صلة حسنة بالناس والحكام « فتيمور » مع عتوه كان يبالغ فى فى تعظيمه ، وتزوج السلطان الاشرف ابنته فنال بذلك منه زيادة البر والرفعة وكان قد عمل قاضيا بزبيد عشرين سنة .

رابعا : بعد تتبع الشخصية المترجم لها ، يسرد « الزبيدى » أسماء شيـــوخ الفيروزبـــادى ومؤلفاته ، كما يحدد لنا أعلام العلم والثقافة فى عصره ذاكرا انه « آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل واحد منهم بفن فاق فيه الأقران على رأس القرن الثامن » .

والحق ان الزبيدى قدم خير ترجمة يمكن ان نتوقعها لعلم من الاعلام ولا ادل علـــى ذلك مـــن تحديده البقعة التى رقد فيها « الفيروزبادى قائلا : ودفن بتربة القطب الشيخ اسماعيل الجبرتى » .

سلسلـــة الـــروايـــة :

ذكر الزبيدى سلسلة الرواية التى روى بهـــا القاموس والتى انتهت بابن حجر الذى روى الكتاب مشافهة عن مؤلفه ، ولعل هذه هى آخر سلسلة يروى بها كتاب عربى على ما نعلم ، وبعد ذلك كانت تؤلف الكتب وتوضع عليها التعليقات والشروح دون ذكر سلسلة الرواية (48) .

بعد أن ذكر « الزبيدى » اسماء الكتب التى افاد منها عرض ثلاث نقاط :

الأولى : وصف مجهوده فى شرح القاموس مفرقا بينه وبين جهود الآخرين وأهم ما يميز كتابه على حد

---

47 ـــ مقدمة تحقيق تاج العروس ، الكويت ، 1965

48 ـــ المعاجم العربية / 109 ولعل السلسلـــة الوحيدة الباقية اليوم هى رواية « قراءة القرآن » .

وصفه انه جمع ما تفرق فى كتب الآخرين ·

الثانية : بين مقصوده من قيامه بهذا العمل قائلا : « .. فاننى لم اقصد سوى حفظ هذه اللغة الشريفة اذ عليها مدار احكام الكتاب العزيز والسنة النبوية » وهو قصد يعكس الى حد كبير راى العلماء المسلمين على اختلاف اماكنهم وعصورهم فى اللغة العربية واهميتها لحفظ نصوص الدين الاسلامى (49).

ان هذه العقيدة تقف دائما سدا منيعا دون نصرة العاميات العربية على الفصحى فانه يوم تنجح محاولات الخبثاء فى رفع العاميات العربية المختلفة واحلالها محل الفصحى ينجحون فى واد القرآن الكريم وايداعه دور المحفوظات ليصبح اثرا بعد عين ، وتاريخا بعد حدث وماضيا بعد واقع (50) .

على ان العربية لغة الموروث الثقافى للحضارة الاسلامية فوق كونها لغة القرآن والسنة النبوية · ولولا هذان السببان « لكان من الهين علينا ان نقبل على هذه العاميات بكل جهودنا فنسمو بآدابها ونودعها ثمار كل ما فى شعوبنا من عبقرية فتصبح لغتنا ، ولكن الخسارة التى تقع علينا من وراء هذا التحلل افدح من كل ما يمكن ان نجنيه فى جهودنا لمدة قرون طويلة ، فلسنا نرضى ان نبعد عن لغة القرآن الكريم ولا عن لغة سلسلة الادباء والمفكرين الذين ندين لهم بأكثر ما عندنا من عناصر السمو (51) .

ولهذا لايسعنا الا أن نقدر « الزبيدى » على هذا الروح القوى وهذا الحدب على لغة القرآن والسنة ويبدو ان الزبيدى لحظ فى معاصريه تنكرا للغة العربية وحطا لها واعلاءا من شان غيرها ، فجاء عمله ردا على المنكرين · يقول : « وقد جمعته فى زمن اهله بغير لغتهم يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح عليه السلام الفلك وقومه منه يسخرون » ·

الثالثة : ذكر « الزبيدى » ان كتابه هذا سيرتضيه العالم المنصف ويجتبيه ولن يلتفت الى حدوث عهده وقرب ميلاده ، لانه انما يستجاد الشىء ويسترذل لجودته ورداءته فى ذاته لا لقدمه وحدوثه » ·

أما الجاهل المشط فانه سيوجه المعاب اليه ، ويسارع الى تمزيق فروته « ولما يعرف نبعه من غربه ولا عجم عوده » لانه عمل محدث ·

وكأن الزبيدى بهذه الكلمات يدلى بدلوه فى قضية القديم والحديث ذاهبا الى ان القديم لا يحمد لقدمه والحديث لا يعاب لحداثته · وهى قضية طالما القت ظلها على أرض الفكر العربى واختلف حولها العلماء ·

هذا ما كان من امر مقدمة « تاج العروس » وأسأل الله التوفيق ·

---

49 — انظر مثلا طرق تنمية الالفاظ فى اللغة/11، عبد الفتاح الضعيدى ، مصطلحات العلوم فى اللغة العربية ، مجلة المجمع ج 13 / 210 ، محمدرضا الشبيبى ، اللهجات القومية وتوحيدها فى البلاد العربية مجلة المجمع ج 14 / 96 — 99 ، عبد الكريم جرمانوس مقارنة بين اللغات المجرية واللغة العربية ، مجلة المجمع ج 14 / 105 ، ابراهيم مدكور ، الأدب العربى تجاه مشكلتى اللغة والحرف مجلة المجمع ج 15 / 5 محمود بن احمد الزنجانى ، مقدمة تهذيب الصحاح / 34 تحقيق عبد السلام هارون ، احمد عبد الغفور عطار ، دار المعارف مصر · يوهان فك ، العربية / 50 ، محمد فريد ابو حديد موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى مجلة المجمع ج 7 / 206

(50) محمود شرف الدين ، وظيفة الاداة فى الجملةالعربية كما تبدو فى القرآن الكريم خاتمة رسالة دكتوراة كلية دار العلوم — جامعة القاهرة 1973 ، انظر ايضا نفس المؤلف ، التقعيد النحوى بين السماع والقياس مقدمة رسالة ما جستير كلية دار العلوم جامعة القاهرة 1968

(51) محمود تيمور ، سلطان اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11 / 66 محمد فريد ابو حديد موقف اللغة العربية العامية من اللغةالعربية الفصحى مجلة المجمع ج 7 / 214 انظر ايضا محمد رضا الشبيبى ، سنة التطور فى اللغة ، مجلة المجمع ج 11 / 59 — 61

قائمة المصادر والمراجع

ابن جنى ، ابو الفتح عثمان .. ــ 392 هـ

1 ــ الخصائص ، القاهرة دار الكتب ، 1952 ــ 1956

ابن حزم ، على بن احمد بن سعيد 384 ــ 456 هـ

2 ــ الاحكام فى اصول الاحكام ، مصر ...

ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى 223 ــ 321 هـ

3 ــ الجمهرة ، حيدر اباد ، مطبعة دائرة المعارف ، 1344 هـ

ابن سيده ، ابو الحسن ، على بن اسماعيل 398 ــ 458 هـ

4 ــ المخصص ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر

ابن فارس ، ابو الحسين ، احمد بن فارس بن زكريا، القزوينى الرازى 329 ــ 395 هـ

5 ــ الصاحبى ، مصر ، المطبعة السلفية

ابن كثير (الحافظ) ، اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشى البصروى ثم الدمشقى 701 ــ 774 هـ

6 ــ الباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث دار الفكر ، دمشق

الآمدى ، ابو الحسن ، سيف الدين ، على بن محمد بن سالم 551 ــ 631 هـ

7 ــ الاحكام فى اصول الاحكام ، مصر 1914

ابراهيم انيس

8 ــ دلالة الالفاظ ، مصر ، مكتبة الانجلو 1958

9 ــ من طرق تنمية الالفاظ فى اللغة ، القاهرة 1966 ــ 1967

10 ــ تطور البنية فى الكلمة العربية ، مجلة المجمع اللغة العربية ج 11

11 ــ وحى الاصوات فى اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 10

ابراهيم مدكور

12 ــ الادب العربى تجاه مشكلتى اللغة والحرف ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 15

ابراهيم مصطفى

مجلة مجمع اللغة العربية ج 15

13 ــ اصول النحو ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 8

14 ــ دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11

احمد امين

15 ــ ضحى الاسلام ، مصر مكتبة النهضة

16 ــ ظهر الاسلام ، مصر مكتبة النهضة المصرية 1966

17 ــ جمع اللغة ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 8

امين الخولى

18 ــ مشكلات حياتنا اللغوية، القاهرة، 1965

الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب 163 ــ 255 هـ

19 ــ البيان والتبيين ، مصر لجنة التأليف والترجمة والنشر 1961

الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن 1167 ــ 1237 هـ

20 ــ عجائب الآثار مصر ، المطبعة الاميرية

جرجى زيدان

21 ــ تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر ، مطبعة الهلال

22 ــ اللغة العربية كائن حى ، القاهرة ، دار الهلال

حامد عبد القادر

23 ــ ثنائية الاصول اللغوية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11

خليل السكاكينى
24 ــ الترادف ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 8
25 ــ خواطر فى اللغة ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 8
رمسيس جرجس
26 ــ التمييم والتنوين ، مجلة اللغة العربية ج 13
الزبيدى ، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج 316 ــ 379 هـ
27 ــ طبقات النحويين واللغويين ، القاهرة ، 1954
الزبيدى (مرتضى) ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق 1145 ــ 1205 هـ
28 ــ تاج العروس ، الكويت ، 1965
السيرافى ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان 284 ــ 368 هـ
29 ــ اخبار النحويين البصريين، مصر ، 1955
السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر .. ــ 911 هـ
30 ــ المزهر ، مصر ، دار احياء الكتب العربية
طه حسين
31 ــ مشكلة الاعراب ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11
عائشة عبد الرحمن
32 ــ لغتنا والحياة ، القاهرة ، 1966
عباس محمود العقاد
33 ــ الحقيقة والمجاز ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 8
34 ــ الزمن فى اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 14
35 ــ موقف الادب العربى من الآداب الاجنبية فى القديم والحديث ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 7
عبد الفتاح الصعيدى
36 ــ مصطلحات العلوم فى اللغة العربية ، مجلة اللغة العربية ج 13
عبد الكريم جرمانوس
37 ــ مقارنة بين اللغات المجرية واللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 14
عبد الله درويش
38 ــ المعاجم العربية ، القاهرة ، مطبعة الرسالة 1956
39 ــ تعقيب على الاستاذ العقاد فى محاضرته عن (الزمن فى اللغة العربية) مجلة مجمع اللغة العربية ج 14
عثمان امين
40 ــ فى اللغة والفكر ، القاهرة ، 1967
عدنان الخطيب
41 ــ المعجم العربى بين الماضى والحاضر القاهرة 1966 ــ 1967
العسكرى، ابو احمد الحسن بن عبد الله .. ــ 282هـ
42 ــ المصون فى اللغة والادب ، الكويت 1960
على عبد الواحد وافى
43 ــ فقه اللغة ، نهضة مصر ط 6
محمد جاد المولى
44 ــ طريق التاليف اللغوى ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 3
محمد الخضر حسين
45 ــ دراسات فى العربية وتاريخها ، مصر ..
46 ــ المجاز والنقل واثرهما فى حياة اللغة مجلة اللغة العربية ج 1
محمد رضا الشبيبى
47 ــ سنة التطور فى اللغة ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11
48 ــ اللهجات القومية وتوحيدها فى البلاد العربية ، مجلة مجمع اللغة ج 14
محمد فريد ابو حديد
49 ــ موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 7
محمد المبارك
50 ــ فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت ، 1970
محمود بن احمد الزنجانى
51 ــ مقدمة تهذيب الصحاح ، مصر ، دار المعارف
محمود تيمور
52 ــ سلطان اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية ج 11
محمود شرف الدين
53 ــ التقعيد النحوى بين السماع والقياس ، رسالة ماجستير ، دار العلوم 1968
54 ــ وظيفة الاداة فى الجملة العربية ، رسالة دكتوراة ، دار العلوم 1973
منصور فهمى
55 ــ الاضداد، مجلة مجمع اللغة العربية ج 2
يوهان فك
56 ــ العربية، القاهرة ــ دار الكتاب العربى 1951 .